اسم المصدر: الحياة

التاريـــخ: 28-02-2009 رقم العـدد: 16766 رقم الصفحة: 9 مسلسـل: 57 رقم القصاصة: 1

كلينتون تحمل إلى المنطقة مشروع سلام دولة فلسطينية

سليم نصّار *

■ مع إعـلان رفض حزب «العمل» الإسـرائيلي بزعامة ايهود بـاراك، الانضمام إلى الائتلاف الحكومي الموسـع، بدأ الرئيس شـمعون بيريز يناصح بضرورة تشكيل حكومة يمينية ضيقة برئاسة بنيامين نتانياهو.

وقد ارتفعت حظوظ هـذا الخيار بعدما اعتذرت زعيمة حـزب «كديما» عن المشـاركة فـي حكومة يمينيـة لا تقبل بقيام دولتين، ولا تسـمح بالتفاوض على أسـاس المبادرة العربيـة. ومـن المتوقع أن يتفـق وزير الدفـاع باراك مع وزيـرة الخارجية ليڤني على تاليـف جبهة معارضة تضم نواباً من الوسـط واليسار وكل المطالبين بتحقيق مشروع قيام دولتين لشـعبين. ولكن هذا التجمع لا يسـتطيع منع نتانياهو من تشكيل حكومة تنال أكثر من ٦٥ نائباً في حال ضـم إليها ليبرمان. وبما أن المهلة المعطاة لزعيم «ليكود» تنتهي بحلول الثالث من نيسـان (ابريل) على أبعد تقدير، فإن الرئيس شـمعون بيريز ينتظـر وصول وزيرة خارجية أميركا هيلاري كلينتون الأسبوع المقبل إلى الضفة الغربية وإسـرائيل لعله يستكشـف منها الخطوط العريضة لخطة السـلام التي يعدّهـا الرئيس أوباما. وتشـير «واشـنطن بوسـت» إلـى أن الإدارة الجديـدة تتجه إلـى وضع خطة تضمن أمن إسرائيل عن طريق إقامة سلام إقليمي يكفل هذا الأمن. وربما تسلم الوزيرة كلينتون مسؤولية هذا المشروع إلى مبعوث الإدارة جورج ميتشـل الذي وصل إلى المنطقة بحيث يصبح بإمكانه التنقل بين العواصم المعنية.

ويبـدو أن الوزيـرة كلينتـون قـد اسـتنبرت أفـكار المفاوضين السـابقين، ثم صاغت حلاً وسـطاً يحتاج إلى بعض التعديلات. ومن المتوقع أن يعرض على الأوروبيين، وعلـى الممثـل الأعلـى للسياسـة الخارجية فـي الاتحاد الأوروبي خافيير سولانا، قبل أن تتم بلورته كمشروع حل.

يشير المشـروع إلى ضعف السلطة الفلسطينية وعدم قـدرة «فتح» على تحمل مسـؤولية الأمـن الداخلي، إن كان فـي الضفـة الغربية أم في قطاع غزة. وقـد اقترح الجنرال جيمس جونز (الأمن القومي) تسـليم مهمات الأمن إلى قوة دولية تابعة للحلف الأطلسي. وتعهدت روسيا بإرسال قوة مشـاركة أيضاً. ويسـتمر وجود هذه القوات ثلاث سنوات فقـط، تقـوم خلالها القوات الإسـرائيلية بالانسـحاب من وادي الأردن، والاحتفـاظ بمحطات انذار. وفي الوقت ذاته، تنتقل مهمات السيطرة على المعابر الحدودية إلى السلطة الفلسطينية. أمـا بالنسـبة إلى عملية تسـليح الشـرطة الفلسـطينية، فإن طبيعة الدولة المنوي انشاؤها لا تسمح لهـا إسـرائيل بامتلاك اسـلحة هجومية ثقيلة. وتقتصر سـيادتها على المجـال الجوي المدني. وهـذا ما تعارضه «حماس» وما ترفض التفاوض بشأنه لإيمانها بأن إسرائيل تريد الحصول على السـلام العربي مقابل السماح للسلطة بأن تتولى شؤون مطار مدني لوطن غير موجود.

أما بالنسبة إلى مبدأ التفاوض «الأرض مقابل السلام» فإن المشـروع الأميركي الجديد يتحـدث عن تعديلات على حدود ١٩٦٧ يتبادل فيها الطرفان - الفلسطيني والإسرائيلي - مسـاحات متسـاوية من الأراضي. وهـذا يقتضي ابقاء معظـم المسـتوطنين (٢٧٠ ألف نسـمة) في مسـتوطنات الضفة الغربية، على أن تشـملهم سيادة إسرائيل. وتشترط «تل أبيب» مقابـل السـماح بإنشـاء ممر يربـط الضفة الغربية بقطاع غزة، سـيطرة «فتح» على القطاع. وقد أعرب الفلسطينيون عن قلقهم من انشاء جدار الفصل الذي شمّ ٨ في المئة من أراضي الضفة.

وكان بطرس بطرس غالي، سـكرتير عام الأمم المتحدة السابق، قد انتقد بشدة قرار تشييد الجدار في عهد شارون، لأنه، في نظره، يجعل حياة الفلسطينيين جحيماً. وفي رأيه أن الجدار يمنـع القدرة على التحرك والتواصل، خصوصاً عنـد نقاط التفتيش. وبما أنه لم يشـد على الخط الأخضر، فإن القانون الدولي يعتبره اعتداء على سيادة الغير، وهذا مـا أقرته محكمة العدل الإسـرائيلية التي دانت خط سـير الجدار لكونه يمنع أي تطبيع في العلاقات. لهذا السـبب وسـواه، وصف غالي الجدار بأنه نسـخة أخرى عن جدار برلين، أو ما كان يدعى بـ «جدار العار».

حول موضوع القدس، يقترح المشروع الأميركي إعادة الممتلكـات إلـى الطوائف. أي كل ما هـو عربي ينبغي أن يعود إلى الفلسـطينيين ودولتهـم... وكل ما هو يهودي أن يعود إلى الإسـرائيليين. وكان قـد أقرّ في مفاوضات كامب ديفيد مبدأ تقسيم القدس إلى عاصمتين لدولتين.

ووافق الرئيس كلينتـون على اقتراح يقضي بأن تبقى السـيادة الفلسـطينية على الحرم الشريف، بينما تنحصر سيادة اسرائيل بالجدار الغربي. ولكن مارتن انديك، السفير السـابق والمستشار الحالي لوزارة الخارجية، وضع خطة يمكـن أن تتبناها الوزيـرة كلينتون. ومفادهـا ان المدينة القديمـة والمواقع الدينية فيها تكون تحت اشراف دولي. بكلام أوضح: يصار الـى وضع نظام خاص لإدارة المدينة القديمة مع إبقاء الأماكن المقدسـة داخل جدران المدينة تحت رعاية الهيئات الدينية الثلاث.

وفـي آخر تصريحاتـه قال شـمعون بيريز عن موضوع مسـتقبل القدس، ان المنـاخ الحالي لا يسمح بحوار هادئ حول قضية مشـحونة بالمشـاعر والرموز. أنـا اعتقد بأن القـدس يجب أن تكون مدينة مفتوحة ومنزوعة السـلاح... موحدة سياسـياً، ولكنها مقسـمة دينياً. ولتأخذ كل طائفة من الطوائف المعنية مسـؤولية الأماكن المقدسة الخاصة بها.

تبقى في مشروع التسوية نقطة خلاف جوهرية تتعلق بمسألة حق العودة للفلسطينيين، انه الحق المعلن عنه في حقوق الانسـان وفي القرار ١٩٤ الذي صوتت عليه منظمة الأمم المتحدة في ١١ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٤٨.

الجانب الإسرائيلي يتحدث عن حق العـودة كقنبلة ذرية ديموغرافية يمكن أن تهدد وحدة اسرائيل وتماسكها.

اسم المصدر: الحياة

التاريخ: 28-02-2009 رقم العدد: 16766 رقم الصفحة: 9 مسلسل: 57 رقم القصاصة: 2

في حين يتحدث الفلسطينيون عن هذا الحق كاعتراف بالمسؤولية الاخلاقية والمعنوية والأدبية عن خلق مشكلة اللاجئين. ويرى المشرعون ان اعتراف اسرائيل بحق العودة يعادل اعتراف الدول بجرائم الحروب والارتكابات التي اقترفتها. والتهجير القسري لم يكن أقل من إبادة جماعية مثلما حدث للهنود الحمر في اميركا.

المفاوض الاسرائيلي افتعل مشكلة مضادة احتمى خلفها كي يبرئ ضميره من الذنوب والآثام، فقد أدعى ان الدول العربية طردت بعد حرب ١٩٤٨ عدداً كبيراً من اليهود يوازي تقريباً عدد الفلسطينيين الذين طردوا من بلادهم، إضافة الى هذا، قامت بمصادرة أراضيهم التي تشكل ضعفي مساحة فلسطين.

الخطأ في هذه المقارنة ان «الوكالة اليهودية» هي التي شجعت على هرب اليهود من العراق وسورية ومصر وسائر الدول العربية. وقد نُشر في هذا الموضوع أكثر من خمسين كتاباً، بينهم كتاب يروي فيه عميل «الموساد» كيف كان يزرع القنابل في معابد اليهود ومنازلهم بهدف ترويعهم وحثهم على الهرب الى اسرائيل.

قبل التوصل الى مراجعة المشروع الاميركي لا بد من تجاوز مرحلتين مهمتين: أولاً - تشكيل حكومة اسرائيلية ترضى باستئناف المفاوضات من حيث توقفت، وترضى ايضاً بحل يشمل اقامة دولتين. ثانياً - إقناع «حماس» بقبول مبدأ التفاوض على مشروع السلام لا على هدنة طويلة. والقبول بمشروع السلام يتطلب الاعتراف باتفاق اوسلو واتفاق مدريد، والاعتراف باسرائيل. وكما جاءت صواريخ «القسام» بحكومة يمينية متطرفة، كذلك يُفترض ان تأتي مجازر غزة بمرشحي «حماس» في حال جرت الانتخابات قريباً.

ويرى نتانياهو ان العمق الاستراتيجي الذي حصلت عليه اسرائيل عقب حرب ١٩٦٧، لم يعد مهماً لأمن بلاده. والسبب ان صواريخ «القسام»، المنطلقة من قطاع غزة، أو صواريخ «حزب الله» المنطلقة من جنوب لبنان، اصبحت قادرة على تشويش الأمن الداخلي بطريقة تتعدى البُعد الاستراتيجي. ومعنى هذا ان الخطر لم يأت من الخارج فقط بل من الداخل ايضاً، أي من غزة وجوارها.

في الخطاب المثير الذي ألقاه الرئيس باراك أوباما يوم تنصيبه، طرح نفسه كقائد ثوري جاء لإحداث تغيير عميق باسم قيم قديمة خالدة.

وفي توجهه الى الأسرة الدولية، تحدث أوباما عن استراتيجية دولية تمارس استخدام القوة بحذر وتعقل. وذكر بأن الأجيال السابقة دحرت الشيوعية والنازية ليس فقط بالدبابات والطائرات، بل بالأحلاف المتينة والمعتقدات الراسخة. ودعا في خطابه الى اقامة علاقات جديدة بين الولايات المتحدة والعالم الاسلامي، تقوم على أساس المصالح المشتركة والاحترام المتبادل.

واقتطعت صحيفة «هارتس» من الخطاب عبارات تتحدث عن فشل القوة وحدها في توفير الأمن المطلوب. وقالت ان القوة تؤثر عبر الاستخدام الحذر لها، والأمن ينبع من عدالة الهدف. وعليه رأت الجريدة ان السلام الذي يطمح أوباما ان يقيمه في الشرق الأوسط لا ينبع من سياسة «الرصاص المصهور»، بل من سياسة السلام العادل.

يقول المراقبون في واشنطن إن نتانياهو المعارض لاتفاقات أوسلو، والرافض لقيام دولة فلسطينية، يسعى إلى تجميع أكبر عدد من «صقور» اليمين المتطرف والأحزاب الدينية. وهم يتوقعون حدوث خلافات بينه وبين الرئيس أوباما العازم على إعادة اطلاق مساعي السلام في الشرق الأوسط، خصوصاً أن الذين يشكلون ٦٥ نائباً من مجموع ١٢٠، جميعهم ينتمون إلى تيارات معارضة مثل «ليكود» و «اسرائيل بيتنا» و «شاس» و «يهدوت هتوراة» و «الوحدة الوطنية» و «البيت اليهودي». ويستند من مراجعة مواقف هذه الأحزاب أنها لا تنوي القيام بأي تسوية سياسية على أساس دولتين لشعبين.

المخرج القانوني الذي يعتمد عليه الرئيس شمعون بيريز يقضي باستثمار الوقت إلى أبعد الحدود. وهو يتوقع فشل نتانياهو في تشكيل حكومة ائتلافية تضم عناصر من مختلف الاتجاهات. وهذا معناه تمديد فترة الـ٢٨ يوماً إلى زيادة ١٤ يوماً أخرى، كما ينص الدستور. ويراهن بيريز على ضغوط «اللوبي اليهودي» في الولايات المتحدة من أجل تغيير حكومة «الصقور» التي ينوي زعيم «ليكود» تشكيلها. ومع أنه حصل على نسبة واسعة من الشريحة الشعبية، إلا أن نتانياهو يستند في مرجعيته السياسية والمادية إلى يهود الولايات المتحدة الذين احتضنوه وأطلقوه. من هنا القول إن توقيت الخلاف مع أوباما قد لا يكون في صالح يهود أميركا الذين تعاني مؤسساتهم المالية والإعلامية من عجز يحتاج إلى دعم الدولة المركزية.

يستنتج من توجهات أوباما أنه رئيس يسعى إلى تفكيك نظام المواجهات المتواصلة الذي أنشأه جورج بوش مع ديك تشيني. وإذا كان نتانياهو يؤمن بأن ضمان بقاء إسرائيل، يتأتى من الاعتماد على قوتها المسلحة وعلى إسهام هذه القوة في صنع سلامها وأمنها... فإن أوباما يعتقد بأن السلام الذي اختصره العرب في مبادرة الملك عبدالله بن عبدالعزيز، قد يكون الضمانة الأولى لتوفير أمن اسرائيل.

للخروج من هذا المأزق، يتهم نتانياهو «حماس» بأن مواقفها المتشنجة هي التي تعرقل بلوغ السلام مع الفلسطينيين، كما يتهم محمود عباس بالضعف لأنه عاجز عن تطويع «حماس» وإرغامها على القبول بالسلام الاسرائيلي. وهو في الحالين يزوّر الحقائق هرباً من الاعتراف بأن الذين سيضمهم الى حكومته يزوّن «حماس» من حيث التطرف والعداء... وبأن ايهود أولمرت لم يقدم لمحمود عباس سوى الكلام المعسول والوعود الفارغة!

---

* كاتب وصحافي لبناني.